الغزو الصليبي للقدس الجذور والتأريخ

م٠م ابتسام رسول حسين
مركز إحياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

المقدمة

إن الحديث عن الغزو الصليبي لبيت المقدس مهما اختلف شكل أو نوع الأسلوب في طرحه أو في ضيق أوسعه تفاصيله فهو يحضر في الفترة ما بين (١٠٩٥_١٢٩١) م ، وهي تقرب من ألمائتي سنة ، فقد بدأ منذ إن جرب الأوربيون حظهم و احتلوها ، بعد سباتٍ دام أربعمائة وخمس وخمسون سنة ، أي منذ ان فتحها المسلمون وحرروها سنة ١٤هـ ، وفي زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رض) فكانت النتيجة هي أنهم بعد ما احتلوا القدس ودخلوها سنة (١٠٩٥) م ؛ اجبروا على الخروج منها بالقوة وعودتها إلى حوزة المسلمين ثانية في سنه (٥٨٣ هـ / ١١٨٧م) بقيادة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي.

" و النظرة الحديثة للحروب الصليبية ترى إن فترة الحروب الصليبية ما هي سوى حلقة الصراع الناشب بين الشرق و الغرب من أيام التأريخ الأولى امتداده في مطلع الألف الأول قبل الميلاد. واستمرت الحال هذه إلى أن... "انبثق بعدها فجر الإسلام في سنة ٦٣٠م ، ثم دحرت الكتائب المحمدية جيوش الإمبراطور بين القادسية و الرومانية..." [١]

" وقد انتهت ذيول الحروب الصليبية في القرن الخامس عشر تقرياً لتفصح عن نتائج غريبة متناقضة بالنسبة للشرق العربي و الغرب الأوربي " [٢].

وكان الموقف بين الشرق العربي و أوروبا أشبه ما يكون بالمد و الجزر، فعندما كان العرب موحدي الصفوف أقوياء تنحسر عنهم الاعتداءات الأوربية و تسعى دول أوروبا لكسب ود الدول العربية الموحدة القوية و تحاول بناء علاقات صداقة مع هذه الدول للحفاظ على مصالحها.

إلا أن الموقف لا يلبث إن ينقلب بدافع من المطامع الكامنة في نفوس الأوربيين العدائية التي تتصف بها حالما يدب الضعف في الدول العربية.[٣]

وعندما حرر المسلمون القدس كان تصورهم و لا يزال دفاعاً عن فحوى الدين الإسلامي في حين إن في الإسلام جاء رحمة للعالمين فقد قال سبحانه و تعالى " وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين" .

ويعد يوحنا الدمشقي ، ممهد الجادة للمستشرقين المعروفين بتحاملهم على الإسلام فأكثر ما يزعمونه و يذكرونه هو ما كان قد قاله و دونه قبلهم بما يزيد عن ألف عام. وجرأة يوحنا هذا على الإسلام مع قربه من الخلفاء و اشتغاله موظفاً عندهم من دلائل تسامح المسلمين و عدم اهتمامهم بما يقال عنهم و إن كان غشاً.

وقد نسب (يوحنا بن نبكاية) انتصار المسلمين إلى إرادة الله و قضاءه و قدره، فقد أراد الله إن يرغم انف المملكة المتغطرسة الظالمة العاصية لأمره، بأن سلط عليها قوماً " حفاة أكثرهم أشباه عراة لا يملكون سلاحاً يقاتلون و لا قوة " ، اجتاحوا الإمبراطورية و تغلبوا على أقوى محاربي العالم في أيامهم ، و لم يكن لينتصر (أبناء هاجر) ولا قدرة قادر و أمر من الله[٤] .
و من يقرأ كلمات (يوحنا الدمشقي) يجد فيها المديح الكبير للمسلمين في مبادئهم ، و إن كان قصده غير ذلك لكن قوله الحقيقة عندما نسب انتصار المسلمين أي أصحاب الدين الجديد إلى (إرادة الله ، قضاءه ، قدره) أي أنهم على حق ، لأنهم مع الله لذلك فالله معهم فكان نصرهم هو نصر الله ، ووصفه إياهم (صفات أشباه عراة لا يملكون سلاحاً يقاتلون و لا قوة) ، لين ، ذلك ادني عيب و إنما العكس من ذلك فهو مدح لا يضاهيه مدح من حيث الفارق النسبي الكبير بينهم وبين من هم مدججين بالسلاح وقواة الأجسام ولباسهم من افخر الثياب لكن ليس منهم فائدة ! لماذا ؟ لأنهم على باطل ، كما بين يوحنا نفسه حين قال :
فقد أراد الله إن يرغم انف الإمبراطورية المتغطرسة الظالمة العاصية لأمره أي إنهم خرجوا وانحرفوا عما جاء في كتابهم ، ويذكر ان تعداد الجيوش الصليبية في معركة مؤتة قد وصل إلى مئتي ألف مقاتل في حين كان عدد المسلمين لا يزيد على ثلاثة إلف مقاتل عربي .
والذي يبدو إن استرجاع المسلمين للقدس سنة ١١٨٧م على يد القائد العربي المسلم السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي كان بمثابة تأييد لما في ذاكرة الأوربيين عند تحرير المسلمين القدس سنة ١٤هـ ، و أما ما جرى بعد ذلك التاريخ من حروب صليبية انه كان عليهم تغيير أرائهم .

المبحث الأول
أسباب الغزو الصليبي للقدس
أسباب أوربية
أ_ (ما الذي شغل الناس في الشرق والغرب أمداً طويلاً، أنها الحروب الصليبية ورقمت بأرقام عديدة تبدأ أولاها في سنة ١٠٩٥م والهدف المعروف هو استلاب بيت المقدس من أيدي المسلمين وتهيئة جو خالص للحجاج النصارى ، يؤمنهم في أداء فريضة الحج إلى الأماكن المقدسة التي تنطوي على ذكريات عزيزة على أنفس جميع المسيحيين رغم تباين أجناسهم وأوطانهم وألسنتهم)[٥].
ب- وانتشرت الأخبار في إرجاء أوربا النصرانية وشعر كبار رجال الكنسية والمحاكم ، إن الخطر الذي زال عن النصرانية بانهيار الدولة الإسلامية السريع في اسبانيا ، قد حل محله الآن تهديد جديد مخيف في الشرق مبعثه الأتراك وكانت الحروب الصليبية جواب أوربا النصرانية عن هذا التهديد [٦].

جـ - كما إن الاعتقاد ساد يوم ذاك بان نهاية العالم قد دنت ، وان المسيح سيظهر للمؤمنين به على رأس الألف من السنين التي غيرت[٧] .
د - وهناك رأي آخر رابع اخذ به الباحثين و رأي في الحروب الصليبية الوسيلة التي تحايل بها الغرب للخروج من أوضاع العصور الوسطى ، و الانطلاق إلى حياة أوسع أفقا ذلك إن الغرس ظلوا طوال العصور الوسطى ، يعيشون داخل دائرة معينة حددت افقها الكنيسة، وكان كل من يحاول الخروج عن هذه الدائرة يتعرض لغضب الكنيسة و طرده من رحمتها و بأس المصير.
وهكذا جاءت بشائر النهضة الأوربية الوسيطة في القرن الحادي عشر مصحوبة برغبة الناس في لتخلص من القيود المفروضة عليهم .
فقد كانت الحروب الصليبية خير فرصة اتجهت للغربيين للجميع من الخلاص في الدنيا، و الثواب في الآخرة[٨] .

أسباب عربية

أ - يكاد الإجماع بين المؤرخين يعتقد على إن زوار الأماكن المقدسة و كنيسة القيامة من أهل الشرق و الغرب على السواء _ لم يكونوا يصادقون شيئاً من العنف أو الإرهاق أو النشوة من جانب المسلمين الأوائل، على أنهم وجدوا زمن ضعف الحكام المسلمين و تفكك الخلافة ، و دخول جماعات جديدة في الدين ، حملها تحمسها له أن تسلك سبيل العنف[٩] .
ب - فقد كانت الاضطرابات تسود ديار الإسلام ، فمصر كانت مهمتها للمجاعة و الثورات و الانقلابات و عدم الاستقرار. و بلاد العراق و الخلافة الإسلامية ما كان شملها نفوذ الأتراك السلاجقة حتى عاد إلى ما كان عليه زمان بني بويه من خلافات، و البلاد الشامية كانت مسرحاً لحروب بين الفاطميين و السلاجقة ، و ما بين السلاجقة أنفسهم .
و لم تكن حال المغرب الإسلامي أحسن حظاً من المشرق فتونس عمتها الفوضى و الاضطرابات و نالهم التقييم و فقدان لوحدة السياسية و صقيلة انتهت فيها آخر مقاومة أسلامية و استولى عليها النورمانيون سنة (٤٨٤هـ-١٠٩١م) .
(أما الأندلس فقد بدأ فيها التراجع ورجحان كفة النصارى الذين اخذوا يحتلون المدن الإسلامية الواحدة بعد الأخرى وهكذا كان العالم الإسلامي في حالً مغرية على مهاجمته و اكتساحه)
جـ - وعند بحث موقف العالم الإسلامي لابد من التطرق إلى موقف الفاطميين في مصر اذ يذكر الكثير من المؤرخين المسلمين القدامى و منهم المحدثين إن من أسباب هجوم الصليبيين على الشرق الإسلامي مراسلة الفاطميين لأمم الفرنج و تشجيعهم على مهاجمة السلاجقة لأن هؤلاء الآخرين تغلبوا على الفاطميين و انتزعوا منهم البلاد الشامية زيادة على المذهبية بين أهل السنة و الشيعة و كانت على أشدها في تلك الأزمنة.

المبحث الثاني

١ـ البداية

انتشرت الديانة النصرانية في قرونها الأولى في بلدان الإمبراطورية الرومانية القديمة المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط في أوروبا الغربية ثم اخذ توسعها بالتباطؤ.
و كانت الأقوام الساكنة على الحدود الشمالية للإمبراطورية القديمة بطاءً في تقبل الدين الجديد و قبل أن يتم تنصرهم هزمهم البرابرة القادمين من الشرق و أقصى الشمال.
وزحف البرابرة جنوباً متوغلين في الأراضي الرومانية القديمة فزال الأمن و الرخاء و سادت الفوضى و الخصومات و في هذه الظروف القلقة تناقص نفوذ الكنيسة و أخذت المناطق النصرانية بالتقلص من ناحية الجنوب و حين كانت الكنيسة في حضيض ضعفها تعرضت لتحد من خصمهم جديد في الجنوب الشرقي [١٠] .
إن فترة الحروب الصليبية لم تكن سوى حلقة من سلسلة الصراع الناشب بين الشرق و الغرب منذ أيام لتأريخ الأولى عندما امتد في مطلع الألف الأول قبل الميلاد، فالنفوذ الفينيقي و الأراضي من و الآرامي من الشرق فاجتاح العالم المعروف و تلا هذا النفوذ في القرن الخامس قبل الميلاد النفوذ الفارسي الذي وصل إلى بلاد اليونان ثم رجحت كفة الغرب عندما قاد الأسكندر المقدوني اليونانيين سنة (٣٣٢ق.م) ووصل بجيوشه إلى قلب الهند.
و قلت ذلك موجة غريبة جديدة مؤلفة من محافل الرومان التي وصلت إلى بلاد فارس و بدأ الصراع بين الرومان و الفرس، استغرق زهاء سبعة قرون، انبثق بعدها فجر الإسلام [١١].
اشد المؤلف: (أنتوني ويست) إلى إن الكنيسة تعرضت لتحدٍ من خصم جديد في الجنوب الشرقي ، و لم يشر إلى النفوذ الفارسي الذي استغرق صراعه معه زهاء سبعة قرون! ألم يحد نفوذهم و صراعهم من نفوذ الكنيسة؟
وعندما جاء هذا التحدي الجديد من الجنوب الشرقي كما يقول، لكن الصحيح ليس بتحدِ للفرس و لا للكنيسة ، و إنما هذا التحدي الجديد هو تحدِ لكل ما هو باطل و مزيف فالديانة المسيحية أو الأصح الدين الذي جاء به النبي عيسى عليه السلام)، تحول إلى اسم أخر و هو النصرانية نسبة إلى الناصرة، (سموا نصارى باسم القرية التي نزل فيها المسيح و هي ناصرة من ارض الخليل)[١٢]
وعن الثنوية و مجيئهم مع ذكر الطبقة الثانية من ملوك الروم و هي المتنصرة و تأريخهم و إعدادهم و ما كان من الكوائن و الأحداث العظام الديانة و الملوكية في أيامهم ، و أول ملوك هذه الطبقة قسطنطين بن قسطنس يعرف ، بامه هيلاني و إليها ينسب ، ملك اثنين و ثلاثين سنة و ثلاثة أشهر و هو الذي اظهر دين النصرانية و حارب عليها حتى قبلت و انتشرت في البلاد إلى هذه الغاية.

و ما ذهب إليه النصارى ان السبب ذلك في ذلك ظهور صليب له نوري في السماء في نومه في حال حربه مع ملك برجان و انه قيل استنصر به على عدوك تنصر عليه...[١٣]

وعن المرقونية أصحاب مرقيون ، و هم قبل الديصانية ، وهم طائفة من النصارى ، اقرب من المانوية و الديصانية .

و الماهانية طائفة من المرقونية يخالفوهم في شيء ويوافقوهم في شيء[١٤].

وقول أصحاب المانوية: (انه الغار قليط الذي وعد به المسيح و ما ذكر ماشي من ذلك في الجبلة و في كتابة المترجم بالشاير فان و في كتابه سفر الأسفار...)[١٥]

أين هو الدين المسيحي ؟ و ما تأثيره على المجتمع الأوربي آنذاك؟ فهل أن الدين المسيحي أمرهم بأن يكون المجتمع ثلاث طبقات؟

(أولاها: رجال الدين ، وثانيها: المحاربون من النبلاء و الفرسان و الثالثة: الفلاحون و هم عامة الشعب و جلهم من الاقنان و رقيق الأرض.)[١٦]

أهذه هي السياسة في المجتمع الأوربي الذي من المفروض في اوج تقدمها و تحديها بجانب الإسلام و مبادئه و التطور الذي حصل فيه و هي مسؤولية القس و الرهبان ، أن يكونوا في مستوى أعلى من ذلك المستوى الذي كانوا عليه، على الأقل غيرةً من الإسلام و المسلمين، أو إذا كانوا قد تطوروا بتأثير الإسلام منذ فجره إلى وقت بداية الحروب الصليبية وهذا مستواهم الاجتماعي والسياسي إذن كيف كانوا قبل فجر الإسلام.

٢ـ الحكاية

فعندما جاء الإسلام منفذاً للبشرية من الواقع الفاسد إلى الحرية والاستقلال والعدل وعلى يد من تأهل له، واستوعيه فكراً وعقيدة متوجهين لنشره كما أمرهم الله.

فكان أن(...تحركت الكتائب المحمدية جيوش الإمبراطوريين الفارسية والرمانية وامتدت أجنحة ديار الإسلام من الصين إلى سواحل المحيط الأطلسي ومن ثم عبر المسلمون البحر إلى القارة الأوربية حيث أقاموا دولة إسلامية في الأندلس وسيطروا على جزيرة سردينية وصقلية)[١٧]

(فان قوى الإسلام التي خرجت من قلب الجزيرة ...اندفعت في كل جهة نستطيع الوصول إليها بطريق البر ففي الشمال اكتسحت الشام وتقدمت إلى الأناضول حيث هددت القسطنطينية، وفي الشرق فتحت العراق وفارس والقسم الأكبر من بلاد الأفغان وعبرت نهر جيحون... وفي الغرب استولت على مصر وسواحل شمال أفريقيا بكاملها حتى وصلت إلى شاطئ الأطلنطي ثم انطلقت شمالاً عند جبل طارق فاكتسحت اسبانيا...)[١٨]

٣ـ النكاية

وعندما دبَّ الضعف في الخلافة العباسية وفي الفترة ما قبل البويهين وفي فترة البويهين من سنة(٣٣٤-٤٤٨)هـ ،والتراجع الذي بدا في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس

استغل الأوربيين ذلك الضعف في التحرك فقد تمكنوا من تنصير بولندا و هنكاريا والدا نمارك والنرويج وانتقلوا بذلك من موقع الدفاع إلى موقع الهجوم وفي الشمال وكما يقول:أنتوني ويست في ص ٣٢،اشتبك اشتبك الملوك والنصارى مع الفرنسيين من سكنه سواحل البلطيق وفي الجنوب اخذ الفرنسيين والأسبان التضييق على المسلمين لإخراجهم من اسبانيا وحين أوشكت الأمور إن تتبدل، أصابت النصرانية نكسة مروعة.

قامت سلطة السلاجقة تحت قيادة طغرل بيك وأخذت على عاتقها حمل راية الإسلام بعد إن المتنقوة في أوائل القرن الرابع الهجري...وبعد طرد البويهين من بغداد عاصمة الخلافة فدخلوها عام ٤٤٧ هجرية ... وضع طغرل بيك قائد السلاجقة نفسه في حزمة الخليفة وقد دفعه ذلك روح الإسلام الذي كان متغلغلاً في نفسه.

وقد حصل أول تصدم لجيش طغرل بيك مع الجيوش البيزنطية عام ٤٤٥ هجرية ١٠٥٣ م عندما قرر هذا القائد السلجوقي الوقوف بوجه الغزاة وخاصة البزنطيين الذين اخذوا يشنون الغارات على البلاد الإسلامية... وبعد توالي الانتصارات على يده وبعد وفاته على يد ابنه

البارسلان ومن ثم ابن ألب ارسلان...)[١٩]

وتقدم الأتراك مستفيدين من ذلك فاستولوا على مدن نصرانية كبيرة مثل إنطاكية ونيقة وقام احد السلاطين الأتراك في نيقة ولقب (سلطان الروم)

وانتشرت الأخبار في أحياء أوربا النصرانية وشعر كبار رجال الكنيسة والحكام إن الخطر الذي زال عن النصرانية بانهيار الدولة الإسلامية السريع في اسبانيا قد حل محله الآن تهديد جديد فكيف في الشرق مبعثه الأتراك وكانت الحروب الصليبية جواب أوربا النصرانية عن هذا التهديد[٢٠].

وأصغى البابا إلى ما وراء بطرس[٢١] يتأمل فقد جاءه منذ عهد ليس ببعيد سفراء من قيصر الإمبراطورية و قد أخبروه إن الأتراك، كان لهم من القوة ما يجعل البيزنطين عاجزين عن مقاتلتهم بمفردهم. وقد طلب إمبراطورهم اليكسوس مساعدة بقية العالم البصراني في صد المسلمين عن ديار النصارى.

وكان البابا قبل انتخابه لكرسي البابوية رأساً للدير العظيم ياكولوني بفرنسه وقد قام رهبان كولوني منذ أكثر من مائة عام يوو رئيس في إقناع الفرسان الفرنسيين بالامتناع عن مقاتلة بعضهم البعض وجثهم للرحيل جنوباً لمساعدة النصارى في اسبانيا... اقتنعت استغاثة الإمبراطور ورواية بطرس... بأنه آن الأوان لمهاجمة المسلمين في الشرق، ولذا أعطى بطرس تفويضاً بابوياً بالدعوة إلى حرب مقدسة وتوجه البابا عن ذلك في مؤتمر كيد للكرادلة و رؤساء الأساقفة.

دحر البابا بطريقة إلى كليرومونت في إقليم يوفانس بفرنسة و اجتمع هنا بـ(رامبو دو تولوز) الذي كثيراً ما قاد كتلاً من المحاربين إلى اسبانيا لمحاربة المسلمين)

وبعد كل تلك الدعوات و الترويج إلى الحرب من قبل البابوات تدفقت الحشود متوجهة إلى القدس بشكل حملات منذ أن دعت البابويه سنة ١٠٩٥ بوجوب انتزاع القدس من

أيدي المسلمين لتسهيل زيارة الحجاج الأوربيين، فكان تحشدهم الكبير أدى إلى تمكنهم من الدخول إلى الرها وبذلك كان أول مكسب صليبي ضد المسلمين ،و الرها لا تبعد كثيراً عن الشرق على وادي الفرات بمساعدة بلدوين الذي انحرف عن طريقه بمجرد أن طلب من ذلك مستصحباً معه ثمانين فارساً و بضع مئات من الأسلحة. وكان ذلك عظيماً على المسلمين و السلاجقة على الأخص و كان من المتوقع ان تتوحد الجهود و تتكاتف الأيدي.

وبعدها وصل الصليبيون إلى انطاكية. و كانت إنطاكية محيطة بالأسوار لمسافات كبيرة و يحرسها أربعمائة برج ، وقد تم محاصرة إنطاكية زهاء سبعة أشهر و تمكن الجيش الصليبي من إنزال الهزيمة بالمسلمين بعد تلقي المساعدات عن طريق البحر، و بعدها توجه الصليبيون إلى بيت القدس و تزعم هذا التوجه نحو رايموند املاً كسب التاج الثالث.

وعند وصول الصليبيون إلى القدس بعد تسلق الجبل الشارق ورأوا بأعينهم ارض الميعاد التي تقبض لبناً و عسلاً و عندما وصل الصليبيون تحت الأسوار عرفوا إن المسلمين قد ردموا الآبار فمكث الصليبيون حتى تمكنوا وعند حلول الظلام في يوم الانتصار و اندفعوا طوال الليل في البحث عن كل رجل و امرأة وطفل ليزجوهم، فقتلوا سبعين ألفا و لم يفد المسلمين تسللهم و لا التجاؤهم إلى المسجد الأقصى .

وبذلك انتهت الحملة الصليبية الأولى التي تبدأ في ١٠٩٥ و انتهت بدخول الصليبين و الاستيلاء عليها في سنة ١٠٩٩م .

٤_ الشكاية (الإيقاظ)

بعد سقوط القدس بيد الصليبيين سنة ١٠٩٩م و ما جرى على أيديهم من ذبح للرجال و النساء و الأطفال و بدون رحمة و حتى لجئوا إلى المساجد و الكنائس ، فجرت هذه القضية المؤلمة في نفوس المسلمين فكانت شكواهم لرب العالمين الذي قرر نصرهم بعد الإفاقة و تجمع العالم الإسلامي، و كانت قد ظهرت المقاومة في البداية في شمال العراق لمتاخمتها إمارة الرها (اورنه) الصليبية مما جعلها محط أنظار الصليبيين الدائم للاستيلاء عليها وذلك لمنعتها و توسطها للطرق المؤدية إلى الموصل و حلب وكانت الفكرة هي ان أول رجل من سبعة رجال ابطال جاهدوا و بذلوا دمائهم رخيصة في سبيل إعلاء كلمة الله وراية الإسلام و كان هذا الرجل البطل هو شرف الدين مودود سنة ١١١٠م ، وكان والياً على الموصل عندما اعلن الجهاد بموافقة الخليفة المستنصر بالله العباسي و السلطان السلجوقي محمد ابن ملك شاه .وقد حاصر مودود إمارة الرها سنة ١١١١م و لم ينجح الحصار.

وبعد أن جهز الجيوش بقيادته سنة ٥٠٥هـ-١١١١م ولما لم يأت بنتيجة فذهب لمهاجمة الصليبيين في الشام وبذلك انتقل المسلمون من موقع الدفاع إلى موقع الهجوم، وبعد ذلك تمكن هو و بمساعدة صاحب دمشق أن يهزم جيش بلدوين ، وقد اغتيل البطل مودود من قبل رجل وهو من الباطنية عند خروجه من الصلاة.

واستلم الراية من بعده احد حلفاءه وهو نجم الدين الملقب ابن غازي ، و من ثم نذر الدين بيك، و بعده صونغور (سفر) اليرسقي، و من ثم عماد الدين زنكي ، و السلطان نور الدين محمود ، فقد جاهد الجميع في سبيل الدين، و قتل أكثرهم على يد عناصر من الباطنية وهي فرق هدامة منشأها الإمبراطوريتين الرومانية و الفارسية قبل الإسلام وجاءت ألينا قبل وبعد الإسلام .

ولقد لعب هؤلاء دوراً مهما في المنطقة بأسرها وخاصة بيت المقدس و المدن المهمة التي لها علاقة وثيقة بها و التي تحز في صدور الصليبيين مثل إنطاكية و الرها و حلب و الموصل و دمشق و غيرها. و رغم الاغتيالات التي شملت أكثرهم و المدبرة من قبل الباطنية و الموجهة من قبل الصليبيين الذين تشربت في عقولهم و دماءهم الباطنية عن أب وجد و منذ القدم فقد بطنوا الديانة اليهودية قبل الميلاد و المسيحية بعده.

و قد استمرت حملات الإفاقة من سنة (١١١٠م) و إلى سنة ١١٧٤م التي فيها انتقل المجاهد العظيم السلطان نور الدين محمود إلى رحمة الله في دمشق عن عمر ناهز التسعة و الخمسين سنة بعد ان جاهد في سبيل الإسلام خير جهاد و بذا انتقلت الراية إلى يد أمينة و قوية و هي يد الناصر صلاح الدين الأيوبي الذي نهض ليكمل ما بدأه أستاذه نور الدين و الذين سبقوه.

٥ـ النهاية

وقبل أن يستلم الراية صلاح الدين ظهر نور الدين في ظروف تشبه ظروف العالم العربي الإسلامي الحالية ، فكان همه إنقاذ الوطن العربي الإسلامي لذا فكان إلزاما عليه إن يؤدي رسالتين وهي : التوحيد والتحرير و قد وفقه الله في الاثنين.

فلقد أعاد نور الدين الرها بعد أن أخذها الصليبيون بعد وفاة عماد الدين ، و عاقب من خان المسلمين من ارض الرها فقتلهم عن أخرهم ، و خاض مع الصليبيين معركة ضارية في سنة ١١٤٩م في عين مرارة، و انتصر عليهم بعد هزيمة شنفاء بجيش إمارة إنطاكية وقتل فيها أميرهم رايموندي بواتيه ، و في عام ١١٥١م أكل تصفية إمارة الرها و أمر رجاله الاتصال بأنصاره في دمشق فدخلها في شهر محرم من سنة ٤٤هـ ، وكان انضمام دمشق أعظم خطوة خطاها المسلمون من ميلاد حركة الإنقاذ و التحرير أيام شرق الدولة مودود.

وبعد سقوط دولة الفاطميين في مصر من نور الدين ضم جبهة مصر إلى جبهة الجهاد فقد خاض صراع عنيف بينه و بين الصليبيين استمر من سنة ١١٦٣م إلى سنة ١١٦٩ م وانتهى بسيطرة نور الدين على مصر بمساعدة وزيريه شيركوه وأبن أخيه صلاح الدين الأيوبي.

اخذ موقف النصارى في مملكة بيت القدس بالتردي عاماً بعد عام بعد خيبة الحملة الصليبية الثانية.مات نور الدين واعتقد الصليبيون فترة ما ان موته سيؤدي إلى تشتيت المسلمين وضعفهم إلا أن صلاح الدين الذي حل محله كان زعيماً أعظم منه.

وحرص بلدوين الرابع ملك بيت القدس وكان محارباً شجاعاً ثم توفى في وقت كانت المملكة بها أمس الحاجة إليه...وانتقل العرش إلى كاي دولوزينان...
وكان مشهوراً عصبي المزاج وقليل المعرفة بقتال المسلمين.
(وقد أشار عليه كل الموجودون في بيت القدس إن سبيله الوحيد للثبات بوجه صلاح الدين هو اللجوء إلى التريث...فربما يسام إتباع صلاح الدين ويعودون إلى ديارهم، فكان الفرسان خبراء بأساليب المسلمين عارفين صعوبة الحفاظ على الجيوش الإسلامية مجتمعة عندما لا يكون هناك سوى قتال يسير)[٢٢]
لم يضع كاي لهم سمعاً وقال انه لا شيء يرغمه على التصرف بجبن وانه يعتقد إن الطريق لدحر صلاح الدين هو البحث عنه وإرغامه على خوض معركة. وقاد كاي قواته صاعداً مع وادي الأردن طبرية عارضاً قواته في ديار المسلمين .
وتراجع صلاح الدين أمامه مفسحاً الطريق له المجال للابتعاد عن معاقله ابعد فابعد.
وأخيرا عندما تم لصلاح الدين سحب النصارى مسافة كافية ،استدار بقواته داخلاً بينهم وبين ديارهم قاطعاً خط انسحابهم وحاصراً إياهم في وادً فاصل.
وكان كاي قد ورط نفسه في مأزق حرج وبصحبته كل غازي مملكته تقريباً و قد حمل معه صليب الصليوت الذي أخذه من كنيسة القيامة في بيت المقدس مستعملاً إياه راية حرب... و كانت هذه معركة حطين و نظر رجاله من التل المكسو بالأشواك الذي حصر فيه جيشهم ، و أشعل المسلمون النار في مطلع النهار بالأشواك المحيطة بجيش كاي.
إلا أن كاي و رجاله على الرغم من موقفهم اليائس قاتلوا طوال النهار و عندما استسلم أخر رجل منهم كان الإعياء... جعلهم يقفون على إقدامهم بصعوبة جعلتهم يعجزون عن تسليم سيوفهم للمنتصرين .
(و عندما انهارت مقاومتهم بكى صلاح الدين فرحاً فقد عرف ان قوة مملكة بيت المقدس قد دمرت و انه قد استرجع المدينة المقدسة)[٢٣]
استمرت حروب الصليبيين و حملاتهم المعروفة، كانت الحملة الصليبية الثالثة بقيادة ريتشارد ملك انكلترا و فليب أغسطس ملك فرنسا ، و قد انقلبا إلى عدوين لدودين مستفيدين لخوض معركة ضاربة بينهما و قد انظم الجيشان بعد وصولهما الديار المقدسة و حاصروا عكه و اخذ المسلمون بالرمي عليهم مقذوفاتهم و اشتعلت النيران فيهم و تراجع الفرنسيون و خاب هجومهم و في الوقت الذي كان فيه صلاح الدين الأيوبي[٢٤] يجمع الفدية استغل الصليبيون و اخلدوا إلى الراحة ، و أراد فيليب الذي أنهكه المرض و ضعضعته الخسائر العودة إلى بلاده ، و باءت هذه الحملة بالفشل.
(قرر ريتشارد أن يغامر آخر مرة قبل عودته إلى بلاده...و شعر ريتشارد إن هناك مجالاً لخداع صلاح الدين، تسليم بيت المقدس)[٢٥]
المهم إن جميع الحملات الصليبية التي وصلت إلى القدس أو بقصد استعادة القدس من أيدي المسلمين باءت جميعها بالفشل و إن كل هذه الحملات الصليبية بعد استرجاع

القدس من قبل المسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبي كان نشلها الذريع إن وضع نهاية مؤكدة أن لا عودة ثانية في هذا المكان الملتهب بالإيمان و روح القران.

الخاتمة

نحمد الله ونشكره ،أن تم بعون الله وقوته الانتهاء من إكمال هذا البحث الذي ليس مستواه القدر من هذا الوقت الضيق ، فعلي كل حال ليس لنا إلا به نستعين .
أما بعد ... فإن من البحث في المصادر والمراجع عن الحروب الصليبية يبدو ... كان احتلال القدس سنة ١٠٩٩ البداية في حركة الإفاقة والتجمع في العالم الإسلامي وبعثهم من جديد بعد الهوان الذي أصابهم نتيجة ضعف الخلافة العباسية قبل مجيء اليويهين وفي أثناء حكمهم انتعاش الحركات المقدامة من سفوين وغيرهم التي كانت من الأسباب الرئيسية في خراب الدولة الإسلامية في بغداد و الأندلس وفي غيرها ، لذلك كانت قضية احتلال القدس و استعادتها ، و ما قبل الاحتلال من أسباب في سقوطها و ما قبل استعادتها من أسباب جعلت من قضية القدس في السنين التي قاربت أكثر من المائتين سنة صفحة ناصعة للمسلمين أعادت إلى الدين الإسلامي هيبته و الفكر الروحي في طياته ، و للمسلمين في تثبيت إيمانهم ، و للصليبيين إن لا جدوى من قرع الباب التي أنهكتهم بقوة الله.

فهرس المصادر والمراجع

أ_ المصادر العربية

١. ابن النديم، الفهرست. المطبعة الرحمانية بمصر: عبد الرحمن موسى.
٢. الدنيوري، ابن قتيبة الدنيوري. المعارف.
٣. الشهرستاني ، محمد عبد الكريم الشهرستاني. الملك و النحل.

ب_ المصادر الاجنبية

١. انطونيوس ، جورج انطونيوس. يقظة العرب. تعريب علي جواد الركابي. مطبعة الشرقي. دمشق: ١٣٦٥هـ
٢. ويست ، انتوني ويست. الحروب الصليبية . ترجمة شكري محمود نديم. بغداد: شركة النبراس للنشر و التوزيع.

جـ_ المراجع العربية

١. جواد، علي جواد. تأريخ العرب في الإسلام .مطبعة الزعيم. بغداد: ١٩٦١
٢. حبشي، حسن حبشي. الحروب الصليبية الأولى. ط١. مطبعة الاعتماد ز شارع حسن الأكبر. مصر: دار الفكر العربي
٣. الحميده ، سالم محمد . الحروب الصليبية. ط١ . بغداد : دار الشؤون الثقافية (افاق عربية) . ١٩٩٠

٤. عاشور، سعيد عبد الفتاح. الحروب الصليبية . ط١. القاهرة : مكتبة الانجلو للنشر و التوزيع.

الهوامش

(١) أنتوني ، ويست. الحروب الصليبية ترجمة شكري محمد ديزم . المعرب. بغداد. شركة النبراس.
(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور. الحركة الصليبية. ط. القاهرة. مكتبة الانجلو المصرية. ص٣
(٣) سالم محمد الحميدة. الحروب الصليبية. ظ١. بغداد. دار الشؤون الثقافية العامة (افاق عربية)١٩٩٠ ص٩.
(٤) جواد علي. تأريخ العرب الإسلام. مطبعة الزعيم. بغداد ١٩٦١. ص٢٢
(٥) حسن، حبشي . الحروب الصليبية الأولى . دار الفكر العربي ، مطبعة الاعتماد ، (القاهرة) ، ط ١ ، ص ١٧.
(٦) أنتوني ويست . الحروب الصليبية . ترجمة شكري محمود نديم . بغداد . شركة النبراس للنشر والتوزيع ١٩٦٧ . ص٣٤
(٧) حبشي. المصدر السابق ، ص٢١
(٨) ويست المصدر السابق ص٢٤،٢٥
(٩) ويست المصدر السابق ص١٩
(١٠) ويست، المصدر السابق، ص٣١،٣٢
(١١) المصدر نفسه ،ص١٧-١٨
(١٢) الدنيوري، المصدر السابق، ص٢٦٦
(١٣) الشهرستاني، المصدر السابق، ص١١٩
(١٤) ابن النديم. الفهرست. المطبعة الرحمانية بمصر. عبد الرحمن موسى شريف. شارع محمد علي بمصر ص٤٧٤.
(١٥) الشهرستاني. المصدر السابق ص١٧٧
(١٦) ويست.المصدر السابق نفسه .ص ٣٤
(١٧) المصدر نفسه،ص١٨
(١٨) انطونيوس، جورج يقظة العرب، تعريب، ، علي حيدر الركابي، مطبعة الترقي (دمشق ، ١٣٦٥) ص٢
(١٩) الحميدة، المصدر السابق نفسه، ص١٣
(٢٠) ويست.المصدر السابق نفسه .ص ٣٤
(٢١) ولم يتوقع بطرس ما سمعه ووطد العزم على ان يتحرى الأمر بنفسه ولذا استمر بطريقه إلى القدس و القي القبض عليه و قد عراه الأتراك و أشبعوه ضربا و أرغموه على العودة و قد اضطر بطرس في طريق عودته إلى القسطنطينية إلى التسول
(٢٢) المصدر نفسه، ص٩٣-٩٦
(٢٣) المصدر نفسه، ص٩٦-٩٨
(٢٤) وعلى ما كتبه المؤلف المغربي النصراني المفروض المقارنة بين أعمال الصليبين الوحشية وحيث أنهم عندما دخلوا القدس حكموا على كل مسلم بقي فيها بالموت فقتلوا سبعين ألف ولم يجدوا المسلمون توسلهم لا ولا التجاؤهم المسجد الأقصى وقد أرسلوا إلى البابا يخبروه بأنهم فتحوا القدس وقتلوا فيها عددا لا يحصى من المسلمين رجالا ونساءا وشيوخا وأطفال ولم يسلموا منهم حتى الرضيع٠

بينما كانت معاملة المسلمين للكتابين وخصوصا عند استعادتهم بيت القدس بقيادة صلاح الدين الأيوبي بعد ثمانية وثمانين سنة٠ كان صلاح الدين عادلا رحوما وقد أبقى على حياة كايدوا لوزينان ولم يسمح بالأسر للفرسان والنصارى بل قرر إن يذهبوا أحرارا ولم يحرق أي بناية نصرانية٠

(٢٥) ويست، المصدر السابق، ص١٢٧